الموضوع: نداء الثورة الإسلامية

المناسبة: الاحتفال السنوي السادس لرحيل الإمام (قدس سره)

الزمان والمكان: 8 محرم الحرام 1416 هـ ــ ق/ طهران

الحضور: الضيوف الأجانب المشاركين في الاحتفال

بسم الله الرحمن الرحيم

في البداية أرحب بالضيوف الأعزّاء، وآمل أن تقرّب زيارتهم لإيران الإسلاميّة قلوب أبناء اُمّتنا الإسلاميّة، وتخلق أجواءً أفضل لتوحيد الأمة الإسلاميّة والعالم الإسلامي.

حاجة البشرية إلى ثقافة الإعلام

ما أودّ قوله لكم اليوم ــ أيّها الأخوة والأخوات الأكارم ــ: هو أنّ الثورة والنظام الإسلاميين يحملان نداءاً للأجيال الحالية في العالم، وسوف يسجّل هذا النداء في التاريخ، وسيفتح طريقاً جديداً أمام البشريّة غير طريق الثقافة الغربية المعروف ــ ولا يبعد أن يُعرض هذا الطريق إلى البشرية ــ.

فالشعوب لم تنتخب الثقافة الغربيّة، بل فُرضت ــ في الأغلب ــ عليها عن طريق إستغلال الغرب للتطوّر العلمي والصناعي، وبالقوّة العسكرية والماليّة والاقتصادية الّتي يمتلكها.

أمّا حول الطريق الجديد الّذي تطرحه الثورة الإسلاميّة، فينبغي أن أوضح في البداية أنْ لماذا طريق جديد؟ وهل هناك داع إلى طريق جديد؟

الجواب: نعم، هناك حاجة ماسّة إلى طريق جديد.

لماذا؟ لأنّ الثقافة الغربيّة الّتي تَفرض سيطرتها على جزء واسع من العالم ــ إن لم نقل على كلّ العالم تقريباً ولها سيطرتها الطبيعيّة على بعض المناطق ــ أظهرت عجزها أكثر من ذي قبل في إسعاد البشر؛ لأنّ رغبة الإنسان في العيش السعيد في الدّنيا، في حين أنّ الثقافة الغربيّة أثبتت عجزها منذ فترة طويلة، واليوم ظهر بشكل أوضح عجزها في تحقيق ذلك.

وهناك بعض العلائم الواضحة جدّاً الّتي تشير إلى هذا المعنى, وهي عبارة عن النموّ المتزايد للفساد؛ لذا لا يمكن لأحد أن يدّعي أنّ الغرب يسير نحو الصلاح، بل الواضح أنّه يسير نحو الفساد، كتفكّك الأواصر الأسرية وتردّي الحياة الاجتماعية الناجم عن التمييز وفقدان العدالة، والظلم.

كما يُشاهد في الغرب ــ وخلافاً لادّعاءاتهم ــ التمييز بين الأسود والأبيض، وبين أتباع الديانات المختلفة رغم أنّهم مواطنون من بلد واحد، ويُشاهد عدم العدالة في الاستفادة من النعم الإلهيّة، بل الثروات الخياليّة إلى جانب الفقر المُدقع، ويُشاهد انقطاع الأطفال عن الجيل السابق وحرمانهم من العواطف الأسرية وصفائها؛ وهذا ما صرّحت به الإحصائيات والتقارير الغربية ذاتها، وإصابة الشباب بالحيرة والكآبة تحت ظلّ مستقبل غامض ومجهول.

والأهمّ من كلّ ذلك هو أنّ الظلم والتمييز والغطرسة أصبحت قانوناً وأمراً طبيعيّاً في العرف العالمي اليوم.

أي أنّ منظمة الأمم المتحدة شكّلت مجلس الأمن بتركيبة خاطئة، وهذا المجلس يجتمع ويتّخذ القرارات بقصف تلك المنطقة ومحاصرة منطقة أخرى، والتدخّل أو عدمه في تلك البقعة من العالم؛ نزولاً عند رغبات ومصالح القوى العظمى، لكنّها لا تتدخّل في بلد, لصالح طرف مُعتد كقضيّة البوسنة والهرسك، والإجماع على حرمان شعب من حقّه المشروع كقضيّة فلسطين، وعدم الاكتراث باحتلال بلد كلبنان بل نكتفي بإصدار البيانات.

إنّ القوى المستكبرة وعلى رأسها أمريكا اُمّ الفساد في هذا العصر ــ وهذا اسم يليق بالولايات المتحدة الأمريكيّة حقّاً ــ تتّخذ قراراً بمهاجمة بلد ما، والتدخّل أو عدم التدخّل في بلد آخر، تقيّد يد المظلوم وتطلق يد الظالم في بلد ثالث.

يحرقون بالنار جماعة في مدينة أمريكيّة وهم أحياء، ويعتقلون الآلاف من المسلمين في البوسنة والهرسك، وتتعرّض النساء والأطفال لأبشع الاعتداءات، وفي بلد كلبنان وفلسطين يرتكب العدو آلاف المجازر، ولا ينطق شخص ولا يحرّك أحد ساكناً, لكن عندما يتعرّض عنصر فاسد ومفسد ــ على سبيل المثال ــ لهجوم من قبل مسلم فلسطيني دفاعاً عن نفسه، ترتفع أصوات الجميع, والأهمّ من كلّ ذلك أنّ هذا الأمر أصبح قانوناً، وكلّ من يعارض ذلك يُحكم عليه بالخروج عن الرأي العام العالمي، وهذا ما وردت الإشارة إليه عن النبي العظيم(ص) والّذي قال: «يأتي زمان على الناس يصبح فيه المنكر معروفاً والمعروف منكراً», وهذا أبشع جريمة

يرتكبها الغرب باستغلاله التطوّر العلمي والتكنولوجيا والثروات لإشاعة الظلم والفساد.

وبناءاً على ذلك، فإن البشريّة بحاجة إلى طريق جديد، فما هو هذا الطريق؟ وهل أنّ الطريق الّذي تضعه الجمهورية الإسلامية أمام البشريّة يعتبر شيئاً جديداً؟

كلاّ، إنّ الطريق الّذي نعرضه هو طريق الإسلام والقرآن.

طبعاً توجد ــ هنا ــ مسألة وهي أنّه يوجد اليوم تفسيران وفهمان خاطئان ومنحرفان للإسلام, يسعى أعداء الدين الترويج لهما بما يتناسب مع مصلحتهم.

أحدهما: فهم ذو نظرة ضيّقة وتعصّبية يدلّ على عدم معرفة الإسلام والقرآن، هذا الفهم الخاطئ يعتبر الإسلام مجموعة من الأحكام والقوانين الفرديّة فقط أو الأحوال الشخصيّة على أحسن تقدير، ولا أثر لإمكانيّة إدارة شؤون الحياة فضلاً عن إدارة شؤون المجتمع أو العالم.

وهذا الفهم الخاطئ هو لجمع من علماء البلاط من أعوان الظلمة وبعض عوام الناس في بعض البلدان الإسلاميّة.

وهو ما يستند إليه أعداء الإسلام دائماً، فأينما أرادوا توجيه ضربة إلى الجمهوريّة الإسلاميّة قايسوها بهذا الإسلام الخاطئ وقالوا: إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة انفصلت وانحرفت عن الإسلام.

وهناك تفسير وفهم خاطئ آخَر للإسلام يقابل التفسير الأوّل، وبتعبير آخَر هو تفسير بعيد عن الإسلام يروّج له المولهون بالثقافة الغربية وربائبها تحت عنوان التسامح حيث يقول هؤلاء: إنّ الإسلام دين تسامح.

نعم، لا شكّ أنّ الإسلام دين تسامح، لكن أين؟ وتجاه من؟ إنّهم يجعلون تسامح الإسلام مجهولاً وغامضاً، يؤمنون بالتسامح المطلق.

هذا تفسير آخَر وهو تفسير لأولئك الّذين لا طاقة لهم ولا صبر في العمل بأيٍّ من أحكام الإسلام، ولا يرغبون في العمل بأيّ من العهود الإسلاميّة، يرغبون في الانفتاح على أعداء الإسلام ليأتي الأعداء ليحذفوا ما يشاؤون من الإسلام دون أن يواجهوا أيّ ردّ فعل، تحت عنوان التسامح والتجدّد والبصيرة.

هذا التفسير والفهم له مُروّجوه في أكناف العالم الإسلامي, بحجّة أنّه لا ينبغي عمل شيء يسيء إلى الإسلام في الخارج، يقولون إنّ ذكر الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأحكام الجزائيّة والحجاب الإسلامي والحكومة الإسلاميّة كلّها

تسيء إلى الإسلام, إساءة عند من؟ عند قادة وزعماء الثقافة الغربيّة المهاجمة, الّذين يرغبون في السيطرة على العالم بثقافتهم الفاسدة دون رادع ومانع يعترض طريقهم.

هذا فهم آخَر للإسلام له أنصاره. وكلا التفسيرين والفهمين خاطئان.

شمولية الإسلام لجوانب الحياة

إنّ الإسلام الّذي تُروّج له الجمهوريّة الإسلاميّة هو ما جاء به القرآن، وهو يشتمل على مجموعة كاملة من الأحكام لكلّ جوانب حياة الإنسان من الصلاة إلى الجهاد، من تكوين الأسرة إلى بناء المجتمع، من الشؤون الفرديّة المحضة إلى الشؤون الدولية الهامّة، من التعامل الأخوي مع المسلمين في العالم إلى التعامل المنصف مع غير المسلمين؛ ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[1]، والنهي الشديد عن التعامل مع الأعداء الغزاة ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾[2]، من إدارة الحكومة في بلد ما ــ والحكومة في الإسلام هي حكومة العلم والعدل، وحكومة العلم والتقوى ــ إلى إدارة اقتصاد شعب على أساس المساواة في تقسيم الثروات وتمليك الإنسان لسعيه وجهده.

إنّ الإسلام ليس له أيّة علاقة بالاشتراكية الشرقيّة السابقة ولا بالرأسماليّة الغربيّة الحالية، وإنّما له برنامج اقتصادي جامع وكامل, فالاقتصاد الإسلامي والحكومة الإسلاميّة، والعلاقات الاجتماعية والإنسانيّة، وإدارة الأسرة طبقاً لموازين الإسلام كلّها مبنية على سلسلة من المعارف المتّقنة والفلسفة المتينة, والأدلّة العقليّة غير القابلة للخدش.

فلا يجوز التمييز بين أحكام الإسلام، يقول الباري تعالى في القرآن الكريم مخاطباً اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[3]، لا يجوز رفض الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكومة الإسلاميّة، وقبول صلاة الجماعة فقط، ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] .

---

[1] سورة الممتحنة، الآية: 8.

[2] سورة الممتحنة، الآية: 9.

[3] سورة البقرة، الآية: 85.

[4] سورة الحجر، الآية: 90، 91، 92.

فلا يمكن لمن يدّعي الإسلام أنّ يَقبل جانباً من أحكام الإسلام الموافقة لرغبات زعماء المعسكر الغربي أو الثقافة الغربية ويرفض الباقي.

في تلك الأيّام الّتي كان القطب الشرقي (الإتحاد السوفيتي، الاشتراكيّة والشيوعيّة) موجوداً، كان البعض يفسّر الإسلام طبقاً لميول هؤلاء، لقد فرضوا على الإسلام اقتصادا وحكومةً بإسم الإسلام؛ كالّتي روّجت لها تلك الثقافة الاشتراكية، لكن [هذا القطب] زال وانتهى, فلا يمكن للآخَرين القيام بنفس العمل مع الثقافة الغربية.

إنّ الإسلام مجموعة كاملة من الأحكام، الإسلام هو لأجل الحياة، الإسلام هو للفرد والمجتمع، للدنيا والآخِرة، الإسلام مُبتنٍ على دليل عقلي، الإسلام ينظر إلى العلم كوسيلة فاعلة، لكن لا يفرضه على القيم الإسلاميّة والإنسانيّة، والجمهورية الإسلاميّة قائمة بهذا الفكر، وتروّج لهذا الفكر، وترفع رايته.

طبعاً, إنّ حرّاس قلعة الثقافة الغربية ــ الحصينة ظاهراً والمتصدّعة واقعاً ــ لن يكفّوا عن محاربة الإسلام، فلا تَخلو إذاعة من شَتم الجمهوريّة الإسلاميّة في أيّ وقت من الليّل والنهار، ولا تَخلو صحيفة تابعة للمؤسّسة الإستكبارية والإمبراطوريّة الإعلاميّة الصهيونيّة من موضوع ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة.

حسناً، إنّنا لا نهتمّ بذلك.

إنّ هذا الشعب قد تقدّم خلال السنوات الـ(16) الماضيّة وازداد صلابةً وقوّةً يوماً بعد يوم، وقد كان إمامنا العظيم (رضوان اللّه تعالى عليه) نبراساً لتلك القوّة والمقاومة والصمود، وقد تعلّم الشعب الإيراني المسلم هذا الدرس جيّداً من ذلك العظيم.

الشتائم وتُهم التحجّر والتعصّب لن تزعزع الشعب الإيراني ولن تخرجه من الميدان.

يقولون: إنّنا متعصّبون، متحجّرون، أصوليون، وقصدهم من الأصولية ليس معناها الإيجابي، أي التمسّك بالأصول والالتزام بالمباني المنطقيّة، بل قصدهم هو ضعف البصيرة وقصر وضيق النظر.

والحقيقة أنّهم هم المتعصّبون والمتحجّرون بهذا المعنى؛ لأنّهم لا يتورّعون عن ارتكاب أيّ عمل لا ينسجم مع مصالحهم، إنّهم مستعدون للتضحية بأناس كثيرين بهدف الحفاظ على أركان وأصول الثقافة الغربيّة، وإنّني أعتقد أنّ سبب محاربتهم الجماعيّة للجمهوريّة الإسلاميّة هو علمهم أن لو تقدّمت الجمهورية الإسلامية بهذه

الصورة, واستمرّت الصحوة الإسلاميّة بهذه الكيفيّة, حيث تُبنى القوّة الاقتصادية والسياسيّة للمسلمين؛ فستقطع عندها أيديهم.

إنّهم يعلمون ذلك جيّداً، لهذا هم يهابون الإسلام ويعادونه؛ لأنّهم تلقّوا الضربات منه، ويعلمون أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة متمسّكة بالإسلام وأنّ راية الإسلام بيدها.

إنّ المسلمين في كلّ أرجاء العالم قد وجدوا طريق الإسلام، وبدأوا النهضة الإسلاميّة، فإن كانت الحركة الإسلاميّة تعيش الغربة قبل انتصار الثورة، فإن الغربة ــ وبحمد اللّه ــ قد زالت وتوجّهت القلوب نحو الإسلام بعد انتصار الثورة الإسلاميّة.

وهذا ما يهابونه.

طبعاً, إنّ مسؤوليّة المثقّفين والعلماء والناشطين في المجتمع ــ سيّما الشباب والجامعيين والواعين والمتحرّرين من القيود الدنيئة للحياة المادّية ــ ثقيلة جدّاً.

نأمل من اللّه أن يفتح هذا الطريق أمام المسلمين ببركة القرآن وتحت ظلّ عنايات ولي العصر (أرواحنا فداه) وبالتمسّك الصحيح بالقرآن، وأن يوفّق الجميع، وأن يعزّ الإسلام والمسلمين، ويقمع أعداء الدين إن شاء اللّه، ويحشر أرواح الشهداء مع الأرواح المقدّسة للأنبياء والأولياء.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .